

علم الكلام الجديد وفلسفة الدين

The new Theology and Philosophy of Religion
La nouvelle théologie et philosophie de la religion

تواتي منير¹، غصابتة الطاوس²

تاريخ الإرسال: 2019/10/27 تاريخ القبول: 2021/03/29 تاريخ النشر: 2022/12/02

ملخص:

نتناول في هذا المقال التمييز بين المجالين معرفيين، ينتمي أحدهما إلى حقل الدراسات الدينية، وهو علم الكلام الجديد، فيما ينتمي الآخر إلى حقل الدراسات الفلسفية، وهو فلسفة الدين، وعلى الرغم من أن الدراسات قد كثرت في الآونة الأخيرة حول هذين المجالين وفيهما، إلا أننا في كثير من الأحيان نجد باحثين يجدون صعوبة في التفريق بين المجالين أو يخلطون بينهما، ولا يتكلف بعضهم عناء النظر العقلي في إدراك ومقاربة المجالين للوقوف على ما يوجد من فروق بينهما، بل حتى أن منهم من يجعلهما حقلا معرفيا واحدا بمصطلحين مختلفين. الكلمات المفتاحية: المعرفة الدينية؛ المعرفة الفلسفية؛ فلسفة الدين؛ علم الكلام؛ علم الكلام الجديد

Abstract :

We treat in this essay to distinguish between two spheres of knowledge, the first belong to field of religious studies, it's named New Theology(Ilm Al-Kalam Al-Jadid), and other belong to philosophical studies, it's named Philosophy of Religion, although studies became many in recently times about and in these spheres, but we find many scholars hardly distinguish between them, although variances between two spheres, even there are consider them one field in two difference terms.

Keywords: Religious Knowledge; Philosophical Knowledge; Philosophy of Religion; Theology; New Theology.

Résumé :

Dans cet article, nous discutons la distinction entre deux domaines cognitifs, l'un appartenant au domaine des études religieuses, la nouvelle théologie, tandis que l'autre appartient au domaine des études philosophiques, qui est la philosophie de la religion, bien que les études soient récemment développées dans ces domaines. Cependant, nous trouvons souvent que les chercheurs ont du mal à faire la différence entre les deux domaines ou à les confondre. Certains ne se donnent pas la peine d'examiner la perception mentale et l'approche de ces deux domaines pour découvrir leurs différences, et même certains d'entre eux en font un domaine de connaissance avec deux différents.

Mots clés : Connaissance Religieuse; Connaissance Philosophique; Philosophie de la Religion; Nouvelle Théologie.

عند تحديدنا لمختلف المفاهيم نجد أنَّ منها ما يمكن تحديد ماهيته بشكل كبير في إطاره الخاص، كمفهومي القانون والسياسة، ومنها ما لا بد فيه من الرجوع إلى مفاهيم أخرى كمفهوم الديمقراطية الذي يحتاج إلى عدة مفاهيم؛ كمفاهيم المشاركة السياسية، وحرية التعبير، وفصل السلطات، ومنها ما هي ثنائيات متقابلة لا يُفهم إحداها إلا بمعرفة الآخر؛ كمفهوم الحداثة مقابل التراث، ومفهوم التجديد مقابل التقليد، أو مفاهيم متداخلة بعضها تحت بعض؛ كتداخل الجزء في الكل أو تداخل السبب والمسبب؛ كمفاهيم الأخلاق والتربية والثقافة، ومنها مفاهيم متداخلة تداخل تجاور أو تشارك تبحث عن ماهية ما بآليات مختلفة أو بآليات واحدة، لكنها تبحث في وجه من وجوه تلك الماهية، ومن هذه الأخيرة نجد علم الكلام الجديد وفلسفة الدين.

والجدير بالملاحظة فيما يتعلق بعلم الكلام الجديد وفلسفة الدين أنَّه على الرَّغم من الإنتاج المعرفي الغزير حول هذين المجالين المعرفيين في القرنين؛ الماضي، والحالي، إلَّا أننا نجد اختلافات كثيرة ومتباينة بين الفلاسفة والمفكرين في دراساتهم للمفاهيم داخل هذين الحقلين أو المفاهيم المتعلقة بهما.

ولذا ؛ نهدف في هذه المقالة إلى محاولة جمع ولممة شتات تلك الاختلافات في إطار الوحدة واللحمة، ومن ثمة محاولة الخروج بمفهوم واضح وسهل لكل من علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، واللذين صُعِبَ على البعض تحديد ماهيتهما أو أنَّه حددها ولكن تشككت في فكره بشكل غير صحيح، وعليه سنحاول في هذا البحث أن نجيب على إشكالية عامة أساسية يُمكن صياغتها في استفهام على النحو الآتي: ما الذي يجعل معرفة ما دينية وأخرى فلسفية؟ آخذين بعين الاعتبار علم الكلام الجديد وفلسفة الدين كنموذجين للإجابة على هذا السؤال.

وهو ما يُمكن الإجابة عليه وتحليله من خلال ثلاثة عناصر أساسية؛ وذلك كالتالي:

- أولاً: علم الكلام الجديد؛ ضبط مفاهيمي.

- ثانياً: فلسفة الدين؛ ضبط مفاهيمي.

- ثالثاً: فصل المقال فيما بين علم الكلام الجديد وفلسفة الدين من انفصال.

أولاً : مفهوم علم الكلام الجديد

قبل تحديد مفهوم علم الكلام الجديد لابد أن نعطي لمحة سريعة عن علم الكلام القديم والذي يعد أحد منظومات الفلسفة الإسلامية الأصيلة، والذي بذل فيه العقل الإسلامي جهداً عقلياً قلَّ نظيره بين العقول الإنسانية الأخرى، فرغم المسائل المختلفة والمتعددة لعلم الكلام إلَّا أنَّه ينقسم إلى قسمين: قسم نشأ نتيجة النزاع الذي دار بين الفرق الإسلامية وقسم نشأ لمجابهة الفلسفة اليونانية، وحال المسلمين اليوم لا يستدعي مسائل وتاريخ القسم الأول من علم الكلام، ولكن

يستدعي القسم الثاني الذي على غراره ظهر علم الكلام الجديد، ولكن على الرغم من ذلك فإنّ الكثير من الآراء الكلامية الجديدة تنبني معرفتها على معرفة العلم بمسائل القسم الأول أو علم الكلام القديم (النعماني، 2012، صفحة 21).

ونبدأ هذه اللوحة السريعة لمعرفة علم الكلام - القديم - بإعطاء ثلاثة تعريفات لهذا العلم وهي تعريفات لعقول إسلامية مختلفة وهي: تعريف "أبو نصر الفارابي"، و"عضد الدين الإيجي"، وأخيراً تعريف "عبد الرحمن بن محمد بن خلدون"؛ وذلك باعتبار أنّ: الأول فيلسوفاً، والثاني متكلماً، والثالث مؤرخاً.

اعتبر "الفارابي" في كتابه "إحصاء العلوم" علم الكلام صناعةً "يقدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقوال" (الفارابي، 1996، صفحة 86).

وأما "الإيجي" فيرى أنّ "الكلام علم يقدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه" (الإيجي، د.ت، صفحة 07).

وعرّفه "ابن خلدون" بأنّه "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة. وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد" (ابن خلدون، 2005، صفحة 423). وقد حصر الكثير من علماء الكلام أو المشتغلين بهذا العلم مهام ومسائل علم الكلام في مهمات ومسائل محددة تتسع وتضيّق حسب رؤية كل واحد منهم، فعلم الكلام القديم كان منصباً فقط في النظر في العقائد الإسلامية لأنّ المخالفين والمعترضين في ذلك العهد كانت اعتراضاتهم تتعلق بمسائل العقيدة (النعماني، 2012، صفحة 181)، وقد رأى "محمد مجتهد شبستري" أنّ علم الكلام عند المسلمين تكفل بثلاث مهمات وهي: تبين العقائد وإثباتها والإجابة عن الشبهات (شبستري، 2013، صفحة 158-159).

والجدير بالذكر؛ أنّ علم الكلام الإسلامي قد توقف عن التطور منذ زمن بعيد ولم يبدأ في التحرك من جديد إلّا مع تعرّف العالم الإسلامي على الحضارة الأوروبية وفكر الإلهيات الغربي بالخصوص (ملكيان، 2010، صفحة 187)، ونتيجة للحرية التي تميز بها العصر الحاضر مقارنة بالعصور الماضية ظهرت نداءات تسلم وتطالب بأهمية وجود علم كلام جديد لكنها اختلفت في أصوله ومبادئه، فبعض المتكلمين الجدد نادوا بأن يقوم علم الكلام الجديد على أصول جديدة تماماً، لأنّ المسلمين في العصر الحديث أصبحوا يواجهون إشكالات وانتقادات جديدة تقوم على التجربة والبديهيات بعكس الإشكالات القديمة المستمدة من الفلسفة اليونانية التي تقوم على القياس والظن، وهذه الفكرة تعتبر صائبة لكن هناك بعض قضايا علم الكلام القديم مفيدة في زمانه وفي الحاضر وفي المستقبل، لأنّ صحة قضية ما لا تتغير بتغير الزمن (النعماني، 2012، صفحة 16).

فعلم الكلام الجديد يبحث في القضايا والمسائل التي يثيرها المخالفون والتي لها علاقة بنقد الدين كالجوانب الحضارية والتاريخية والأخلاقية والقانونية كتعدد الزوجات والطلاق والرق والجهاد وحقوق الإنسان ونظام الحكم والإعدام، ومن الضروري أن تكون أدلة علم الكلام الجديد وبراهينه بسيطة وواضحة عكس الكلام القديم الذي كان يعتمد على مقدمات معقدة ومتشابكة (النعماني، الصفحات 181-182)، كما أنه يكتسب معناه إلاً بالتسليم بمختلف التحولات التي طرأت على العالم المعاصر، خاصة في منظومة قيمه والتي كانت نتيجة الفلسفات والأفكار الجديدة التي ظهرت في أوروبا خلال القرون الأخيرة، ودون هذا الحديث لا يكون لهذا العلم الجديد معنى (شبيستري، 2013، صفحة 197).

ويرى بعض الباحثين أن التجديد في علم الكلام ليس سوى إضافة مسائل جديدة إلى الإطار المعروف للكلام التقليدي، وعليه كلما أضيفت مسائل مستحدثة إلى علم الكلام، تجدد هذا العلم، في حين يذهب فريق آخر إلى أن مفهوم التجديد لا ينحصر في المسائل الحديثة التي تلحق بالعلم التقليدي، وإنما يطال التجديد: أهداف العلم ومناهجه، ومواضيعه، وقبلياته وهندسة نظامه المعرفي (ملكيان، 2010، صفحة 186).

فإذا أراد علماء الكلام التجديد فلا ينبغي لهم أن يبقوا يناقشون إلاً قضايا الذات والصفات ومسائل النبوة والمعجزات والمعاد والبعث وهل هو بالروح أو بالجسد؟، والوعد والوعيد والعدل والتحسين والتقبيح هل هما بالعقل أم بالنقل؟، وقضية الإمامة، وهل هي من أصول الدين أم من فروعه؟، وهل يمكن إمامة المفضل بخصور الفاضل؟، إلى غير ذلك من المسائل الكلامية التي كانت النقاشات حولها تعتمد أكثر ما تعتمد على الجدل وتنتصر للمذهب أو الفرقة أكثر مما تنتصر للدين. وتتجلى أهم القضايا الجديدة التي اهتم بها المفكرون المسلمون المعاصرون أو علماء الكلام الجدد فيما يسمى بمشكلات الحداثة وما بعد الحداثة وقضايا العولمة مثل: قضايا حقوق وحريات الإنسان والمرأة وقضايا الإرهاب، بالإضافة إلى تطورات الثورة البيوتكنولوجية التي كان لها كبير الأثر على الإنسان كفرد وكأسرة وكمجتمع كقضايا الزواج والإنجاب والتحسين الوراثي والموت الرحيم والتحول الجنسي.

أما عن التجديد في المنهج فعلم الكلام القديم كان أكثر ما يعتمد على المنهج الجدلي وأساليب الحوار والمناظرة، أمّا علم الكلام الجديد فهو يعتمد على مناهج مختلفة وتبعاً للمسائل والشبهات التي ترد عليه، وهي مناهج نتاج العقلانية الغربية والأوروبية بالأساس التي أبدعتها ومارستها في مختلف فروع المعرفة، سواء في العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية أو الاجتماعية كالظاهراتية والبنوية والتفكيكية والسمنيوطيقا والهرمنيوطيقا (النعماني، 2012، صفحة 87) وغيرها من المناهج التي أحدثتها العقلانية النقدية أو الإستيمولوجيا في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية وهي ما يطلق عليها المناهج النقدية الحديثة. وعلى الرغم من هذه المسائل المستجدة والجديدة والتي دخلت ضمن مباحث علم الكلام والتي تعتبر مشكلات تتطلب حلولاً عند علماء الكلام الجدد، إلا أن هؤلاء لا يهتمهم حل هذه المشكلات في حد ذاتها أي على أرض الواقع

لكل الإنسانية، بقدر ما يهمهم دفع هذه المشكلات عن واقع المجتمعات الإسلامية، وهذا كله داخل تحت مسمى الدفاع عن العقائد الإسلامية ضد الشبهات التي أثارها هذه المشكلات والعقول التي أنتجتها وحلها بالمناهج العقلية لتلك العقول نفسها، وهذا كأنه يشبه برهان الخلف الذي مفاده أيّ إذا هدمت رأي خصمي فأبي صواب (زيدان، 1977، ص28).

أولاً : 2 - مفهوم فلسفة الدين

يمكن النظر إلى فلسفة الدين كمصطلح من جهتين: من جهة أنّ لكل دين فلسفته الخاصة به أي فلسفة داخله أو تحته، ومن جهة أخرى أنّ لكل دين فلسفة خارجه أو فوقه تدرسه (غروندان، 2017، ص30)، فالفلسفة الأولى هي التي تحدد رؤية كل دين لمنظومات الوجود كلها وطبيعة العلاقة معها، ويمكن أن نسميها "رؤية الوجود"، أما الفلسفة الثانية فهي رؤية في كل دين في رؤيته للوجود ويمكن أن نسميها "رؤية في رؤية الوجود"، وفلسفة الدين كمنظومة متميزة وفلسفة مستقلة ظهرت منذ ما يقارب قرنين من الزمن، وقد كانت أهم موضوعاتها الأساسية تدور حول الإلهيات وعلاقة الإنسان بها، وطبيعة الدين ومكانته في الحياة البشرية، بالإضافة إلى الفحص والتبرير العقلاني للدين والبحث الفلسفي لقضايا لغة الدين والإيمان والتجربة الدينية وغيرها من القضايا التي لها صلة بالدين.

وقد ازدهرت فلسفة الدين خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين بدخول المناهج النقدية الحديثة وخوضها في إشكالات معاصرة وأخرى متجددة، وظهر الكثير من الذين تفلسفوا وأصبحوا يعرفون على أنهم فلاسفة دين (Davies, 1993, ix)، وفلسفة الدين هي حقل من حقول الفلسفة التي تعنى بدراسة الظواهر الدينية، وتهتم خاصة ببحث وتقييم الحقيقة داخل الأديان الإيمانية الثلاثة؛ الإسلام والمسيحية واليهودية، وقد كانت في بداياتها تناقش قضايا مثل وجود وصفات وأفعال الله، وقد حاول فلاسفة الدين الأوائل أن يعطوا إجابات عقلية عن كل الأسئلة التي كانت تعرض عليهم، وهي فترة ما يسمى علم الكلام الإسلامي أو اللاهوت المسيحي.

والجدير بالإشارة أنّه؛ حتى فلاسفة الدين الحديثون بقوا تقريباً يدورون في نفس فلك قضايا أسلافهم خاصة البحث في مفهوم الله (Audi, 1999, p. 696)، ففلسفة الدين تعتبر مبحث مستقل عن كل من المعارف الدينية والفلسفية المقاربة له كمباحث الإلهيات المسيحية وعلم الكلام ومقارنة الأديان وعلم الاجتماع الديني وعلم النفس الديني.

ويعتبر أول من جعل فلسفة الدين كمبحث فلسفي هو الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" في كتابه "الدين في حدود العقل وحده"، ويعتبر هذا الكتاب كبداية منهجية لمبحث فلسفي مستقل وهو فلسفة الدين، ولكن رغم هذا فإنّ هناك إرهابات فكرية ساهمت في بناء هذا المبحث الفلسفي وظهوره عند "كانط"، وهذه الإرهابات موزعة بين مختلف الفلاسفة الذين سبقوه حيث كانوا لا يعتمدون على المنهج العقلي وحده، هذا المنهج الذي كان بغرض الدفاع عن الدين والمعارف المرتبطة به (J.Wainwright, p03)؛ أي كانوا يعتمدون على الجدل واللغة البيانية وهو ما كانت تركز عليه اللغة الدينية

المعتمدة على النصوص المقدسة، وهؤلاء الفلاسفة كانوا لا يبحثون في أي معرفة دينية إلا وهم يحملون مسلمات يؤمنون ويدافعون عنها مسبقاً، وهذا ما نجده في علم الكلام الإسلامي الذي أهم ما يميزه هو الدفاع العقلي عن العقائد، وأهم الموضوعات التي تتناولها فلسفة الدين نجد "ماهية الدين، الألوهية، الوحي والنبوة، المعجزات، ماهية العبادات ووظيفتها، مشكلة الشر، الحياة الآخرة، ومنطق ارتقاء الدين" (الحشت، 2000، صفحة 08).

وتتحدث فلسفة الدين - وهي البحث الفلسفي في مجال الدين - عما يتعلق بشؤون الدين: منشأ الدين، ضرورة الدين، حقيقة الدين، أهداف الدين، المعرفة الدينية، واقعية القضايا الدينية، إلى غيرها من المباحث الفلسفية المتعلقة بفلسفة الدين والمائزة لها عن علم الكلام (خاني، 2016، صفحة 15).

وهناك من يرجع "التأمل الفلسفي حول الدين والعقائد الدينية قديم بقدم الدين نفسه إلى درجة يمكن القول معها إنه توأم للدين" (خاني، 2016، صفحة 15)، لكن لا يمكن الأخذ بهذا الرأي بشكل مطلق فالتفكير الفلسفي المنهجي في شكله النسقي والذي يخضع للمنطق والنزعة الإنسانية ظهر خاصة عند اليونان بداية من "سقراط"، أو قبله بقليل مع بداية القرن السادس قبل الميلاد (بدوي، صفحة 09-10).

ولكن هذا لا يمنع من وجود تفكير حول الدين قبل ذلك، فكل عبادة تتضمن إيماناً وبالتالي تفكيراً دينياً سواء كان هذا التفكير يأخذ طابع الفردية والعزلة أو طابع الجماعة، حتى الفلاسفة اليونانيين لم تظهر عندهم فلسفة الدين أولم يبحثوا فيها كما بحثوا في مباحث أخرى كمبحث الوجود، لأن الدين بمعناه الإلهي أو الإيمان لم يكن موضع نظر عندهم على مستوى التفكير الفلسفي، فهم لم يبحثوا ويتعمقوا في دراسة مباحث من قبيل التوحيد والوحي والنبوة والمعاد والمعجزات واليوم الآخر، كما نجد ذلك عند الفلاسفة الذين أتوا بعدهم والذين يتبعون الأديان السماوية الثلاثة؛ الإسلام والمسيحية واليهودية.

فالعقل بطبيعته لا يمكنه أن يبدع فيما هو غير متاح له، فالعقل اليوناني كان يستند على مبادئ الطبيعة الحسية ويرجع أصل الوجود والموجودات إلى مبدأ طبيعي أول، سواء كان هذا المبدأ هو الماء أو التراب أو النار أو الأثير أو الذرات أو الهوى، فعناصر الطبيعة كانت غالباً هي الموجه للفكر اليوناني، وهو ما تجلّى في مبحث الوجود، خاصة لدى الفلاسفة الطبيعيين الأوائل، الذين حاولوا أن ينظروا نظرة شاملة للوجود وتفسيره بعلمه الطبيعية (بلدي، 2004، صفحة 20)، وحتى مع فلاسفتهم الكبار كسقراط وأفلاطون وأرسطو الذين كانت لهم دراسات في ما وراء طبيعية، كما كانت عندهم الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة دائماً مرتبطة بشقها الآخر وهو الفيزيقا أو الطبيعة.

فلسفة الدين إذن هي باب جديد من أبواب الممارسة الفلسفية، ونشأ هذا النوع من التفكير في أوروبا خلال يقظتها الفكرية أو ما يسمى عصر الأنوار خلال القرن الثامن عشر، كما أنّ هناك فرقاً بين "فلسفة الدين" و"علم اللاهوت"،

هذا الأخير الذي تتولاه فئة من رجال الدين لا تكتفي بتوضيح وتبيان معتقدها الديني، بل تنظر في ذات الإله وصفاته وعلاقته بالإنسان والعالم بغية أخذ الآخرين من الناس بما اعتقدوه هم من نظرهم هذا، فهم يتسلطون متوسلين بالمؤسسة الكهنوتية، أما فلسفة الدين فهي تتوسل بالعقل للنظر في الإنسان وعلاقته بالله فهي بهذا حركة تحرر فكرية تميّز بها عصر وفكر الأنوار (عبد الرحمن، 2006، صفحة 224-225).

ويمكن أن نردّد مختلف تعريفات فلسفة الدين إلى تعريفين وهما:

التعريف الأول: يرى أنّ "فلسفة الدين عبارة عن استعمال الطرق الفلسفية (...) للإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالمواضيع الأساسية في الفكر الديني" (الرفاعي، 2002، صفحة 419).

التعريف الثاني: يرى أنّ "فلسفة الدين هي التفكير الفلسفي حول الدين" (الرفاعي، 2002، صفحة 419).

ثالثاً: فصل المقال فيما بين علم الكلام الجديد وفلسفة الدين من انفصال

وأول عتبة يظهر من خلالها الفرق بين علم الكلام الجديد وفلسفة الدين هو عتبة المصطلح فالسامع والقارئ لهذين المصطلحين يتبين من الوهلة الأولى أنهما يحملان مفهومين مختلفين، ويمكن أن نوضح أهم الفروق بين المجالين من عدة أوجه أو حيثيات وسنحاول التركيز على أهمها بحسب ما بدا لنا، وذلك كالتالي:

إنّ أهم ما يميز المعرفة الدينية عن المعرفة الفلسفية هو أنّ المعرفة الدينية تنطلق من الدين، فهي معرفة لا يمكن الرجوع فيها في فهم الدين إلى غير الدين والمعرفة الدينية معرفة مكثفية بذاتها، وفي إطار المعرفة الدينية الإسلامية فالمصدران الوحيدان لفهم الدين هما القرآن والسنة (إسلامي، ب.ت، صفحة 138)، وينسحب هذا الأمر على المعارف الدينية لمختلف الأديان التي لها مصادرها الدينية المعتمدة في فهم الدين وتفسيره، كما تُعرّف المعرفة الدينية على أنها: "هي كل معرفة صادقة متعلقة بالدين وأصوله سواء أتت من العقل أم من النص، وسواء كان متعلقها من شؤون الدنيا أم من شؤون الآخرة" (العالملي، 2002، صفحة 35)، "والمعرفة الدينية ذات أطر ثلاثة: المعرفة العقائدية، والمعرفة الشرعية الفقهية، والمعرفة الأخلاقية. وليس هناك معرفة دينية خارجة عن هذه الأطر" (العالملي، 2002، صفحة 36).

وفي العقلية الدينية نجد أنّ الدين هو الذي يحدد لها رؤيتها لكل الأشياء، ومن بين ما نجد في إطار هذه المعرفة التفسير والفقه وأصوله وعلم الكلام وعلم الكلام الجديد، وبشكل محدد يُمكن القول: أنّ المعرفة الدينية مصدرها هو مصدر الدين وهو الله، أمّا المعرفة الفلسفية فمصدرها هو كمصدر الفلسفة عموماً وهو الإنسان أو بأخص عقل الإنسان، فهي تنطلق من كل المعارف التي أنتجها العقل الإنساني طوال تاريخه سواء كانت هذه المعارف متعلقة بالدين أو غير متعلقة به، لكن يمكن أن نستعملها في بحث الدين فتصبح معارف دينية لكن وفق شروط المعرفة الفلسفية، لأن هناك معارف دينية لا يمكن إدراجها ضمن فلسفة الدين.

إذن؛ ففلسفة الدين لا تنطلق من الدين لكنّ الدين هو موضوع المعرفة الذي تنظر فيه، وهو مجالها الخاص والمستقلة ببحثه فلسفياً، فالفلسفة العامة تنظر إلى الدين كإحدى موضوعاتها الجزئية، أما فلسفة الدين فهي تنظر للدين باعتباره موضوعها الكلي وموضوعها الذي تستقل به عن باقي الفلسفات الأخرى، المستقلة هي بدورها بموضوعاتها كفلسفة العلم، وفلسفة الجمال وفلسفة اللغة وفلسفة السياسة، وغيرها من الفلسفات.

وأهم هذه الفروق هي:

أولاً: من حيث المصدر

لا نقصد في هذا العنصر المصدر التاريخي لكل من علم الكلام الجديد وفلسفة الدين أو من هو المتكلم أو فيلسوف الدين الذي كان له أفضلية السبق في الخوض كل في مجاله، وإنما قصدنا هو مصدر استمداد كلا المجالين لموضوعهما أو لمسائلهما المبحوث فيهما.

فعلم الكلام الجديد كسابقه علم الكلام القديم يتوالد موضوعه أو يستمد من المناقشات والحوارات والانتقادات بين الآراء المتقابلة والمتعارضة، فالمتكلم عادة ما يستمد موضوعه من نقد أو شبهة موجهة للدين أي الإسلام أو معرفته الدينية؛ أي الإسلامية، ومن هنا يبدأ بحثه في الموضوع، فهو باختصار يتغذى من رأي المخالف، فعلم الكلام الجديد يتميز بالتغير المستمر والمتعدد لموضوعاته تبعاً لتغير وتعدد المعرفة الإنسانية عبر الزمان والمكان والتي تتعارض أو تبدوا متعارضة مع الدين. أما فلسفة الدين فتستمد موضوعاتها من خلال التأمل والنظر في الدين والمعرفة المتعلقة به من خلال الجهد العقلي، فهي لا تنتظر رأي الخصم حتى تنتج معرفة، ففيلسوف الدين متجّه من الإنسان نحو الدين، أما عالم الكلام الجديد فمتجّه من الدين نحو الإنسان، فالأول ينظر في وجه الحق في الدين، أما الثاني فينظر في وجه الباطل في الإنسان، ففيلسوف الدين عادة يبدأ بحثه في الدين لضرورة فكرية كانت نتيجة سؤال أو مجموعة تساؤلات كان لزاماً عليه محاولة حلها وهذه أولى شروط التفلسف وهي الوقوع في الدهشة (عبد الرحمن، 2006، صفحة 13)، أو أنّه يختار أن يبقى ملتزماً الصمت ويعاني الحيرة إزاء قلق السؤال، فموضوع فلسفة الدين هو مطلب ذاتي للنفس؛ أي صادر كفعل منها فهو إذن من الدرجة الأولى، بخلاف موضوع علم الكلام الذي هو معطى غيري للنفس؛ أي صادر كرد فعل منها فهو إذن من الدرجة الثانية.

كما أنّ فيلسوف الدين وإن تعامل مع بعض الموضوعات الغيرية فهو لا يبحث فيها من موقف ردّ شبهة أو رأي مخالف، وإنما من قبيل البحث عن الحقيقة الخالية من كل علائق النفس أو بمصطلحنا المعاصر البحث بموضوعية، كما أنّ موضوعات فلسفة الدين تتميز بأنها أكثر ثباتاً من موضوعات علم الكلام التي تتوالد كلما توالد شيء يخالف الدين أو يظهر أنه يخالفه.

ثانيًا: من حيث الموضوع

مما لا شك فيه أنَّ من أهم ما نعرّف به علمًا ما أو نعرّفه به هو موضوعه والذي من خلاله تتحدد به درجة كبيرة من هويته، وموضوعات علم الكلام الجديد ليست هي موضوعات فلسفة الدين وإن كانت هناك علاقات تقاطع موضوعاتي كثيرة بين المجالين، فموضوعات علم الكلام الجديد أغلبها موضوعات دنيوية وعلمانية أو موضوعات ما قبل الموت ومحورها الإنسان، على خلاف ما كانت عليه في علم الكلام القديم الذي كان ذو صبغة دينية وأخروية أو موضوعات ما بعد الموت والذي كان محوره هو الله عزّ وجلّ، في حين يُركّز علم الكلام الجديد على منافع الدين وضرورته في الحياة الدنيا، والاهتمام بموضوعات الطبيعة الإنسانية وحقوق الإنسان (ملكيان، 2010، صفحة 195-196)، فعلماء الكلام الجدد كما هم أسلافهم القدماء موضوعات علمهم هي كل رأي يخالف أو يطعن في الدين، فهم يبحثون في موضوعات خارج دينية متجهة نحو الدين، لذلك كانت إبداعاتهم الفكرية توسم بأنها أقوال أو آراء، فهي بهذه السمة كأنها لا ترقى إلى مستوى النظرية والعلمية التي تتسم بها أفكار الفلاسفة والعلماء.

وأما موضوعات فلسفة الدين فهي أن يكون "الدين بذاته موضوع النظر الفلسفي وأن أضيف إلى هذا دراسته في شكل جزء خاص للتفلسف ككل" (هيجل، 2000، صفحة 23)، ففلسفة الدين تبحث في موضوع الدين وكل ما يتعلق به كالبحث في ماهيته ومصدره ومنشئه وغايته وأنواعه ونظرياته واتجاهاته ومجالاته وحدوده وشروطه ولغة الدين والتعددية والتجارب الدينية، فهي بهذا تبحث في موضوعات داخل دينية متجهة إلى خارج الدين، كما أنَّ هناك كثيرون ممن يحدّص فلسفة الدين في موضوعات محددة كموضوعات حاجة البشر للدين وبديل الدين وعلاقة المعرفة بالإيمان (الرفاعي، 2014، صفحة 254-255).

ثالثًا: من حيث المنهج

عادة ما يكون المنهج المستعمل في أيّ علم تابعاً لطبيعة الموضوع الذي يدرسه، وبما أنَّ موضوعات علم الكلام موضوعات تنبني على أقوال الخصوم، فذلك كانت المناهج الكلامية تابعة لطبيعة موضوعاتها، أو حتى يمكن أن نعتبرها "موضوعات قَوْلِيَّة" بما أن الكلام هو عبارة عن قول، فكان علم الكلام القديم يعتمد على اللغة والجدل والحوار والمناظرة حتى أن هناك من سمى هذا العلم بـ "علم المناظرة العقدي" (عبد الرحمن، 2002، صفحة 70)، وهي مناهج غير مستقلة بذاتها فهي تابعة للمتكلم.

وأما المناهج الفلسفية فتتمتع بشيء من الاستقلالية عن الفيلسوف، وهذه الاستقلالية هي من أهم شروط التفلسف بالإضافة إلى العقلانية، فإن كانت المناهج تابعة لرغبات الفيلسوف فهو يكون عندئذ أقرب إلى الكلام - لوقوس اللغة -

منه إلى الفلسفة - لوفوس العقل -، "المنهج الكلامي عبارة عن بيان العقائد الإسلامية، وأحياناً الاستدلال على صحتها ودفع الشبهات الواردة عليها" (شبستري، 2013، صفحة 31).

رابعاً: من حيث الغاية

إنّ علم الكلام الجديد كمثّل علم الكلام القديم هو في المقام الأول علم غائي، فهو يتحدد بغايته لتعذر تحديده من خلال موضوعه أو مسأله (قارمليكي، 2002، صفحة 56)، كما أنّه علم ظهر في بدايته من أجل غاية محددة، فعند تفحص كثير من كتب علم الكلام سواء منه القديم أو الجديد، نجد أنّ أغلب فصول هذه الكتب تتراوح بين إثبات الحقانية للدين من جهة ومن جهة أخرى نفي الباطلية عنه، فغاية علم الكلام الجديد هي بالأساس غاية علم الكلام القديم وهي حفظ الدين وفكر المتدينين أولاً بتأسيس وتثبيت إيمانهم على أسس نصية وعقلية، وثانياً بنفي أيّ فكرة تزعم طمأنينتهم العقيدية والإيمانية أو تخرج ضميرهم الديني، وإثبات حقانية الدين هي بطريقة ما دعوة للدين، وكل دعوة هي نشر لفكرة، وبهذا فغاية علم الكلام أو غاية المتكلم هي غاية دينية وهي نشر الدين بالأدلة العقلية، ويرى ملكيان أنّ الدفاع عن التعاليم الدينية هو إحدى غايات أو وظائف علم الكلام الجديد، فهناك غايات أخرى يضطلع بها وهي؛ تنظيم العقائد الدينية في نسق متماسك، بالإضافة إلى شرحها وتبيان مقصودها، وإقامة البراهين عليها (ملكيان، 2016، صفحة 460).

وأما فلسفة الدين فليست غايتها النفي والإثبات في حد ذاتهما، وإنّما غايتها النظر في حقيقة ومبادئ هذا النفي والإثبات، فعملها كعمل الإستمولوجيا أو ما يمكن أن نسميه "نظرية معرفة الدين"، فغايتها هي غاية معرفية أي فلسفية وهي البحث عن الحقيقة بالأدلة العقلية، وقد تكون هي الحقيقة الدينية، وفلسفة الدين تتحدد في المقام الأول بموضوعاتها وليس بغاياتها كعلم الكلام الجديد، فالغاية فيها تأتي في مرتبة ثانية بعد الموضوع، وإذا تحدثنا عن غاية فلسفة الدين فهي لا تخرج عن غاية الفلسفة عموماً وإن كانت موضوعاتها محصورة فقط في موضوعات الدين، وهي استشكال واستفهام الظاهرة الدينية من أجل مقارنة إجابات عقلانية للأسئلة التي واجهت العقل الإنساني حول هذه الظاهرة.

ويرى ملكيان أنّ غاية فلسفة الدين هي تحريّ الحقيقة فقط، وفيلسوف الدين لا يقف مع أو ضد دين ما، فهو يريد أن يُبين ما يمكن وما لا يمكن قوله عن الدين من منظار العقل، فغاياته الكشف عن الصدق والكذب أو الحق والباطل في التعاليم الدينية والمذهبية (ملكيان، 2014، صفحة 253-254)، كما أنّ هيجل يرى أنّه "ليس من اهتمام الفلسفة أن تقدم الدين في أي فرد، بل بالعكس، إن وجودها يفترض تشكيل ما هو أساسي عند كل فرد...ومن الحق أن الفلسفة عليها أن تطور ضرورة الدين في ذاته ولذاته" (هيجل، 2000، صفحة 25-26).

خامساً: من حيث النسبة

ونقصد بالنسبة هنا علاقة أو نسبة هذين الحقلين المعرفيين إلى حقول المعرفة الإنسانية الأخرى، فبالنسبة لعلم الكلام فهو ينتمي لمنظومة المعارف الدينية، فهو يدور في فلك الدين ويتنظر مخرجات المعارف الأخرى المناقضة للدين ويحاول أن يهذب بعض تلك المخرجات وينسب ما هو حسن فيها إلى الدين، وهذا شبيه بما يفعله بعض دعاة أسلمة المعرفة أو الإعجاز العلمي في القرآن "الذين يفتشون عن نسب أو سبق إسلامي لكل إنجاز غربي" (حاج حمد، 2004، صفحة 71-72)، كما أنه يحاول ردّ كل مخرجات تلك المعارف السلبية والمخالفة للعقيدة الدينية وعمله شبيه بعمل الايديولوجيا، فهو يتصل بالعلوم اللغوية والمنطقية التي تعتبر بمثابة علوم وسييلة لخدمة الغاية المحددة سلفاً وهي خدمة العقيدة الدينية. وأما فلسفة الدين فهي تنتمي لمنظومة المعارف الفلسفية فهي تدور في فلك العقل، وتنظر في مخرجات الدين والمعارف الدينية وحتى المعارف غير الدينية والتي قد يكون لها علاقة بوجه من وجوه الدين أو المعرفة الدينية لكي تصححها وتجعلها غير متناقضة مع العقل وعملها شبيه بعمل الاستمولوجيا، ففلسفة الدين لها علاقة بفلسفة الأخلاق ومباحث المعرفة والمنطق وفلسفة اللغة وعلم النفس الديني وتاريخ الدين وعلم الاجتماع الديني وهذا بغية تحليل المدعيات الدينية من خلال الاستفادة من هذه المعارف (الرفاعي، 2014، صفحة 282-283).

خاتمة

لقد أولى العقل الإنساني أهمية كبيرة للبحث في مسائل الدين والمعرفة الدينية، وهذا ما نجده في تاريخ الفكر الإنساني منذ بدايات تشكله الأولى عبر رحلته من العقل العفوي البسيط إلى العقل المنهجي المركب، فكان الإنسان دائماً يفكر في الدين باحثاً عن حقيقة الدين من داخل الدين نفسه كمعتقد له ومدافع عنه، فكان الدين دائماً هاجسه الأول بالإضافة إلى قلق أسئلة المستقبل والخوف من المصير، فكان الدين هو أكثر الملاجئ أمناً ليحتمي فيه هذا النوع من الإنسان، أما النوع الثاني من الإنسان أو الإنسان العقلاني أي الباحث عن الحقيقة من خارج الدين والناظر فيه كفيلسوف دين، فكان هذا الأخير يفكر في الدين في حد ذاته وليس في الدين كالتزام.

فكان بذلك البحث عن الحقيقة الدينية يأخذ من بين مساراته مسارين مختلفين؛ طريق علم الكلام وطريق فلسفة الدين أو طريق الكلام وطريق الفلسفة، فكانت الحقيقة الأولى حضورية أي حاضرة في الدين والحقيقة الثانية حصولية؛ أي حاصلة بالنظر والتدبر.

وهكذا وبناء على ما ذكرناه في هذه الدراسة يمكننا أن نصل إلى التأكيد على أنّ علم الكلام وفلسفة الدين على الرغم من كل التداخل في كثير من الموضوعات المشتركة، إلا أنّ طريقة تناولهما لهذه الموضوعات بالدراسة مختلفة اختلافاً جذرياً، فعالم الكلام معتقد أما فيلسوف الدين فمنتقد، فهما حقلان من جهة الصلة الظاهرة بينهما يهدمان بعضهما

بعضاً، ولكن من جهة أخرى أي من جهة بناء المعرفة الدينية فهما بينيان ويكملان بعضهما، وهنا تكمن الصلة المستترة بينهما، وهي أن المعرفة الدينية هي معرفة تكاملية؛ أي تترقى نحو الكمال وهذا بتشارك الاعتقاد والانتقاد، فالاعتقاد هو من جهة ما انتقاد للاعتقاد، كما أن الانتقاد هو من جهة ما اعتقاد للانتقاد.

وبعبارة واضحة؛ فإن طبيعة العلاقة بين المعرفة الدينية والمعرفة الفلسفية، والمُجسَّدة من خلال براديغم الدراسة الممثل في علم الكلام الجديد وفلسفة الدين؛ هي علاقة قطعية وانفصال من جهة المنظومة الرؤيوية والمنهجية التي يعتمد عليها كل مجال منهما، وهي علاقة تكامل واتصال من جهة استفادة كل واحد منهما من الآخر في نقدهما لبعضهما، أو من جهة تجنب الوقوع في أخطاء بعضهما في طريقهما إلى الحقيقة .

قائمة المراجع

أولاً : المراجع باللغة العربية

- 01- ابن خلدون، عبد الرحمان، (2005). مقدمة ابن خلدون، شرح وتقديم: محمد الإسكندراني، ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.
- 02- إسلامي، حسن وآخرون، (د.ت). المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينيّة، (د.ع.ط). بيروت: دار الهادي.
- 03- الإيجي، عبد الرحمان، (د.ت). المواقف في علم الكلام، (د.ع.ط). بيروت: عالم الكتب.
- 04- بدوي، عبد الرحمن، (د.ت). ربيع الفكر اليوناني، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- 05- بلدي، نجيب، (2004). دروس في تاريخ الفلسفة، ط2، الدار البيضاء: دار توبقال.
- 06- حاج حمد، محمد أبو القاسم، (2004). أبستمولوجية المعرفة الكونية: إسلامية المعرفة والمنهج، ط1، بيروت: دار الهادي.
- 07- الخشت، محمد عثمان، (2001). مدخل إلى فلسفة الدين، ط1. القاهرة: دار قباء.
- 08- الرفاعي، عبد الجبار، (2014). تمهيد لدراسة فلسفة الدين، ط1. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
- 09- الرفاعي، عبد الجبار، (2002). علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، ط1. بيروت: دار الهادي.
- 10- زيدان، محمود، (1977). مناهج البحث الفلسفي، ب.ط. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 11- شبستري، محمد مجتهد، (2013). نقد القراءة الرسمية للدين، ترجمة: أحمد القبانجي، ط1. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.
- 12- شبستري، محمد مجتهد، (2013). الهرمنيوطيقا: الكتاب والسنة، ترجمة: حيدر نجف، ط1. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
- 13- عبد الرحمان، طه، (2006). سؤال الأخلاق: مساهمة في نقد الحداثة الغربية، ط3. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- 14- عبد الرحمان، طه، (2002). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- 15- علي خاني، محمد فتح، (2016). فلسفة الدين عند ديفيد هيوم، ترجمة: حيدر نجف، النجف: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.
- 16- غروندان، جان، (2017). فلسفة الدين، ترجمة: عبد الله المتوكل، الرباط: مؤمنون بلا حدود.
- 17- الفارابي، أبونصر، (1996). إحصاء العلوم، تقديم وشرح: علي أبو ملحم، ط1. بيروت: دار الهلال.
- 18- قراملكي، أحمد، (2002). الهندسة المعرفية للكلام الجديد، ترجمة: حيدر نجف وحسن العمري، ط1. بيروت: دار الهادي.

- 19- ملكيان، مصطفى، (2010). العقلانية والمعنوية: مقاربات في فلسفة الدين، ترجمة: عبد الجبار الرفاعي وحيدر نجف، ط1. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
- 20- ملكيان، مصطفى، (2014). فلسفة الدين: المجال والحدود، ترجمة: مشتاق الحلو، موسوعة فلسفة الدين-1: تمهيد لدراسة فلسفة الدين، إعداد وتحرير: عبد الجبار الرفاعي، ط1. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
- 21- ملكيان، مصطفى، (2016). ما يعد به علم الكلام الجديد، موسوعة فلسفة الدين-3: علم الكلام الجديد: مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، إعداد وتحرير: عبد الجبار الرفاعي، ط1. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
- 22- النعماني، شبلي، (2012). علم الكلام الجديد، ترجمة وتقديم جلال السعيد الحفناوي، ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- 23- هيجل، فريدريك، (2001). محاضرات فلسفة الدين، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1. القاهرة: مكتبة دار الكلمة.
- 24- وهي العاملي، مالك مصطفى، (2002). دور العقل في تشكيل المعرفة الدينية، ط2. بيروت: دار الهادي، بيروت.

ثانيًا: المراجع باللغة الأجنبية:

- 01- Audi, Robert, (1999). The cambridge dictionary of philosophy, 2nd edition. Cambridge, UK: cambridge university press.
- 02- Brian, Davies, (1993). An Introduction to Philosophy of Religion, 2nd edition. Oxford, UK: Oxford university press.
- 03- Wainwright, William. J, The Oxford Handbook of Philosophy of Religion, Milwaukee, USA: University of Wisconsin.